

تعلوب مطرباً

بقلم : عبد الحميد عبد المقصود
بريشة : عبد الشافي سيد



ذَاتَ مَرَّةٍ كَانَ تَغْلُوبٌ وَحِيدًا فِي الْخَلَاءِ ، وَلَئِنَّهُ كَانَ وَحِيدًا ،
فَقَدْ كَانَ خَائِفًا ، وَلِذَلِكَ حَدَّثَ نَفْسَهُ قَائِلًا :

لِمَاذَا لَا أُسْكِي نَفْسِي بِالْغِنَاءِ ..
وَرَفَعَ تَغْلُوبٌ صَوْتَهُ وَرَاحَ يُغْنِي بِصَوْتِ جَهْوَرِيٍّ ، فَأَخَذَ صَوْتَهُ
يُنْعَكِسُ عَلَى الْجَبَلِ الْقَرِيبِ ، وَيَرْتَدُّ إِلَيْهِ قَوِيًّا ، فَأَحَسَّ تَغْلُوبٌ
بِالْأَمَانِ ، وَوَاصَلَ غِنَاءَهُ ..



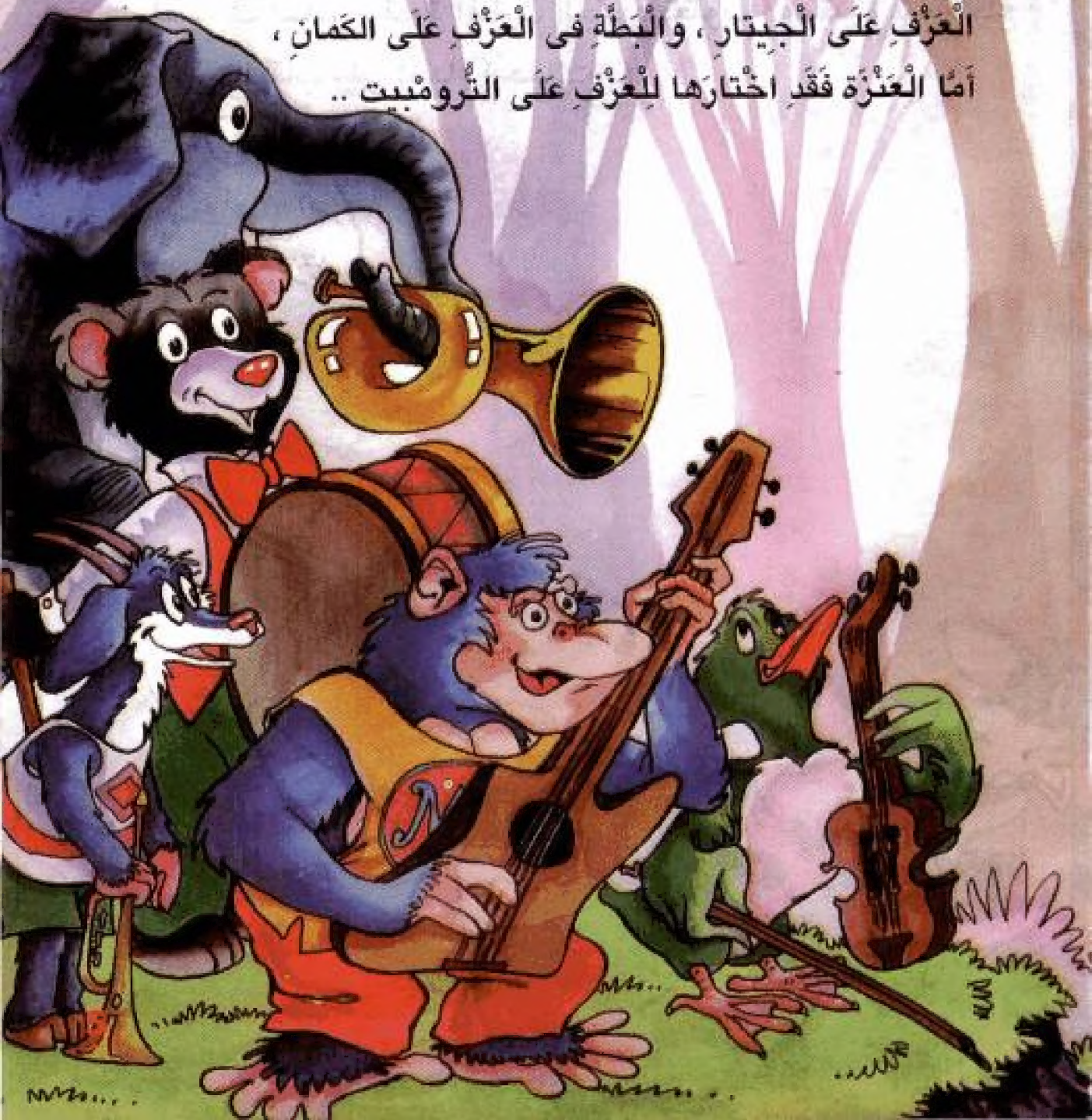
- وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَصْبَحَ تَغْلُوبٌ مُعْجَبًا بِصَوْتِهِ جَدًّا ، فَرَّاحٌ
يُغْنِي فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَرَاحَ يَرْدُدُهُ عَلَى مَسَامِعِ
الْجَمِيعِ ، أَنَّ صَوْتَهُ جَمِيلٌ جَدًّا ، بِرَغْمِ أَنَّ صَوْتَهُ كَانَ رَدِيئًا وَنَشَازًا ،
بَلْ وَمُرْجَبًا لِكُلِّ مَنْ سَمِعَهُ ..
وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ قَرَّرَ تَغْلُوبٌ أَنْ يَكُونَ مُطْرِبًا ، فَأَعْلَنَ فِي قَرْيَتِهِ
وَالْقُرَى الْمَجَاوِرَةِ أَنَّهُ سَيَكُونُ فِرْقَةً مُوسِيقِيَّةً ، وَسَيَكُونُ هُوَ
مُطْرِبُهَا الْأَوْحَدَ ..



- وَبَعْدَ عِدَّةٍ أَيَّامٍ أُخْرَى ثَمَّ تَكْوِينُ الْفِرْقَةِ الْمَوْسِيقِيَّةِ ،
وَأُطْلِقَ عَلَيْهَا تَعْلُوبُ فِرْقَةٍ « قَطَعَ الرِّقَابِ الْغِنَائِيَّةِ » فَأَرْسَلَ
تَعْلُوبُ مَنْ يُنَادِي فِي الْقَرْيَةِ وَالْقَرْىِ الْمَجَاوِرَةِ ، بِأَنْ عَلَى كُلِّ مَنْ
يُرِيدُ إِحْيَاءَ حَفْلٍ فِي آيَةٍ مُنَاسِبَةٍ مِنَ الْمُنَاسَبَاتِ أَنْ يَسْتَعِينُ
بِفِرْقَتِهِ هُوَ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْفِرَقِ ، حَتَّى لَا يُعَرِّضَ نَفْسَهُ لِلْعِقَابِ ،
وَأِفْسَادِ حَفْلِهِ ، وَرُبَّمَا تَعَرَّضَ لِقَطْعِ رَقَبَتِهِ ، كَمَا هُوَ وَاضِحٌ مِنْ
اسْمِ الْفِرْقَةِ ..

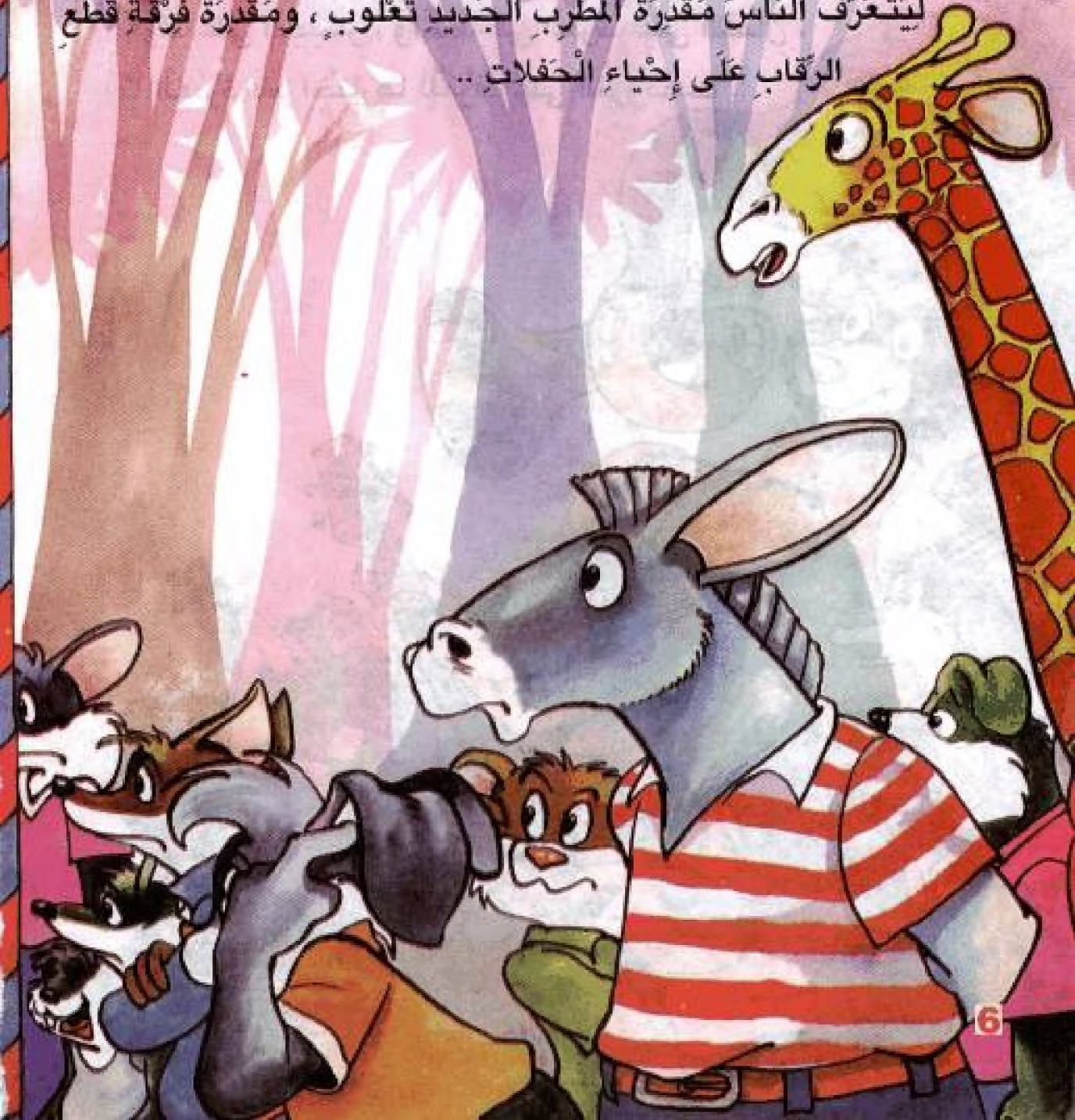


- وَلَكِي يَضْمَنُ تَغْلُوبُ أَنْ يَسْتَعِينِ الْجَمِيعُ بِفِرْقَتِهِ دُونَ غَيْرِهَا
 مِنَ الْفِرَقِ ، اسْتَعَانَ فِي فِرْقَتِهِ بِبَعْضِ الْعُنَاصِرِ الْغَاشِمَةِ وَالْقَوَى
 الرَّادِعَةِ ، لَكِي يَزِيدَ فِي إِرْهَابِ الْأَخْرَيْنِ ، فَاسْتَعَانَ بِالدُّبِّ فِي
 الْعُرْفِ عَلَى الطُّبْلِ الْكَبِيرِ ، وَاسْتَعَانَ بِالْقِيلِ فِي الْعُرْفِ عَلَى الْبُوقِ
 النُّحَاسِيِّ .. كَمَا اسْتَعَانَ بِبَعْضِ الْعُنَاصِرِ الصَّغِيرَةِ مِثْلَ الْقِرْدِ فِي
 الْعُرْفِ عَلَى الْجَيْتَارِ ، وَالْبَطَّةِ فِي الْعُرْفِ عَلَى الْكَمَانِ ،
 أَمَّا الْعُنْزَةُ فَقَدْ اخْتَارَهَا لِلْعُرْفِ عَلَى التُّرُومْبِيَتِ ..

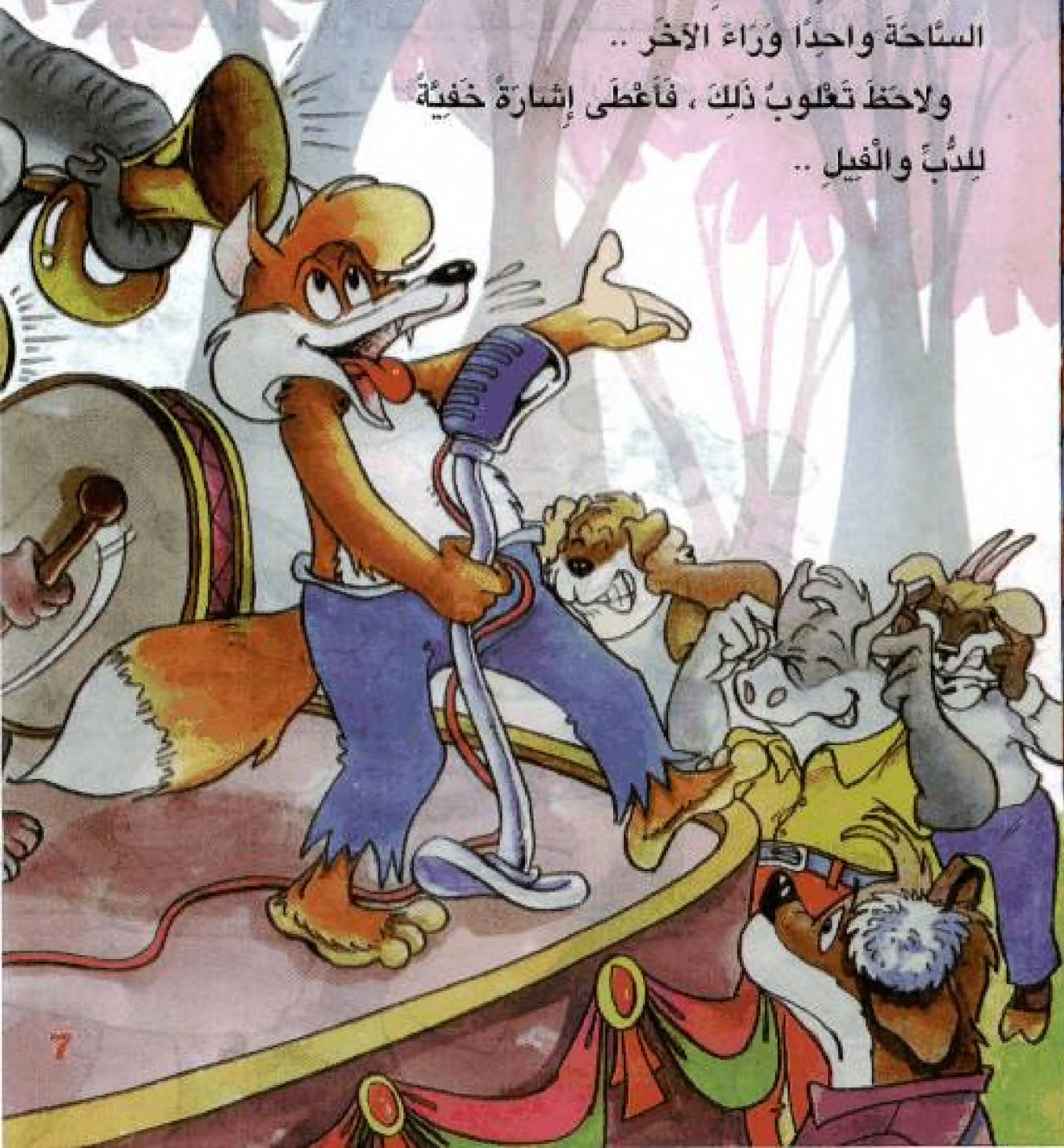


- وَعِنْدَمَا اكْتَمَلَ تَكْوِينُ الْفِرْقَةِ بَدَأَ تَعْلُوبُ يُجْرِي بُرُوقَاتٍ اسْتَمَرَّتْ لَيْلَ
نَهَارَ ، وَلِعِدَّةِ أَيَّامٍ مُتَتَالِيَةٍ ، لِيَتَمَرَّنَ عَلَى الْغِنَاءِ ، وَيَتَمَرَّنَ أَعْضَاءُ الْفِرْقَةِ
أَيْضًا عَلَى الْعُرْفِ ..

وَعِنْدَمَا انْتَهَتْ الْبُرُوقَاتُ ، وَأَصْبَحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْفِرْقَةِ يَحْفَظُ
عَمَلَهُ ، أَعْلَنَ تَعْلُوبُ عَنْ حَفْلٍ تَجْرِيئِيٍّ بِالْمَجَانِ ، يُقَامُ فِي سَاحَةِ الْقَرْيَةِ ،
لِيَتَعَرَّفَ النَّاسُ مَقْدِرَةَ الْمَطْرِبِ الْجَدِيدِ تَعْلُوبِ ، وَمَقْدِرَةَ فِرْقَةِ قَطْعِ
الرَّقَابِ عَلَى إِحْيَاءِ الْحَفَلَاتِ ..



- وبِالطَّبْعِ ذَهَبَ كُلُّ أَهْلِ الْقَرْيَةِ ، مَا دَامَ دُخُولُ الْحَفْلِ بِالْمَجَّانِ ،
يَدْفَعُهُمُ الْفُضُولُ لِلِاسْتِمَاعِ إِلَى صَوْتِ الْمُطَرِّبِ الْجَدِيدِ ، وَبِالطَّبْعِ غَنَى
تَغْلُوبُ غِنَاءٍ سَيِّئًا وَكَانَ صَوْتُهُ مُرْعِجًا لِلْغَايَةِ ..
فِي الْبِدَايَةِ سَدَّ الْحَاضِرُونَ آذَانَهُمْ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِمْ ، حَتَّى
لَا يُصَافُوا بِالصَّوْتِ مِنْ قُوَّةِ الْعُرْفِ .. ثُمَّ بَدَعُوا يَتَسَلَّلُونَ مُغَادِرِينَ
السَّاحَةَ وَاحِدًا وَرَاءَ الْآخَرِ ..
وَلَا حَظَّ تَغْلُوبُ ذَلِكَ ، فَأَعْطَى إِشَارَةً خَفِيَّةً
لِلدَّبِّ وَالْفِيلِ ..



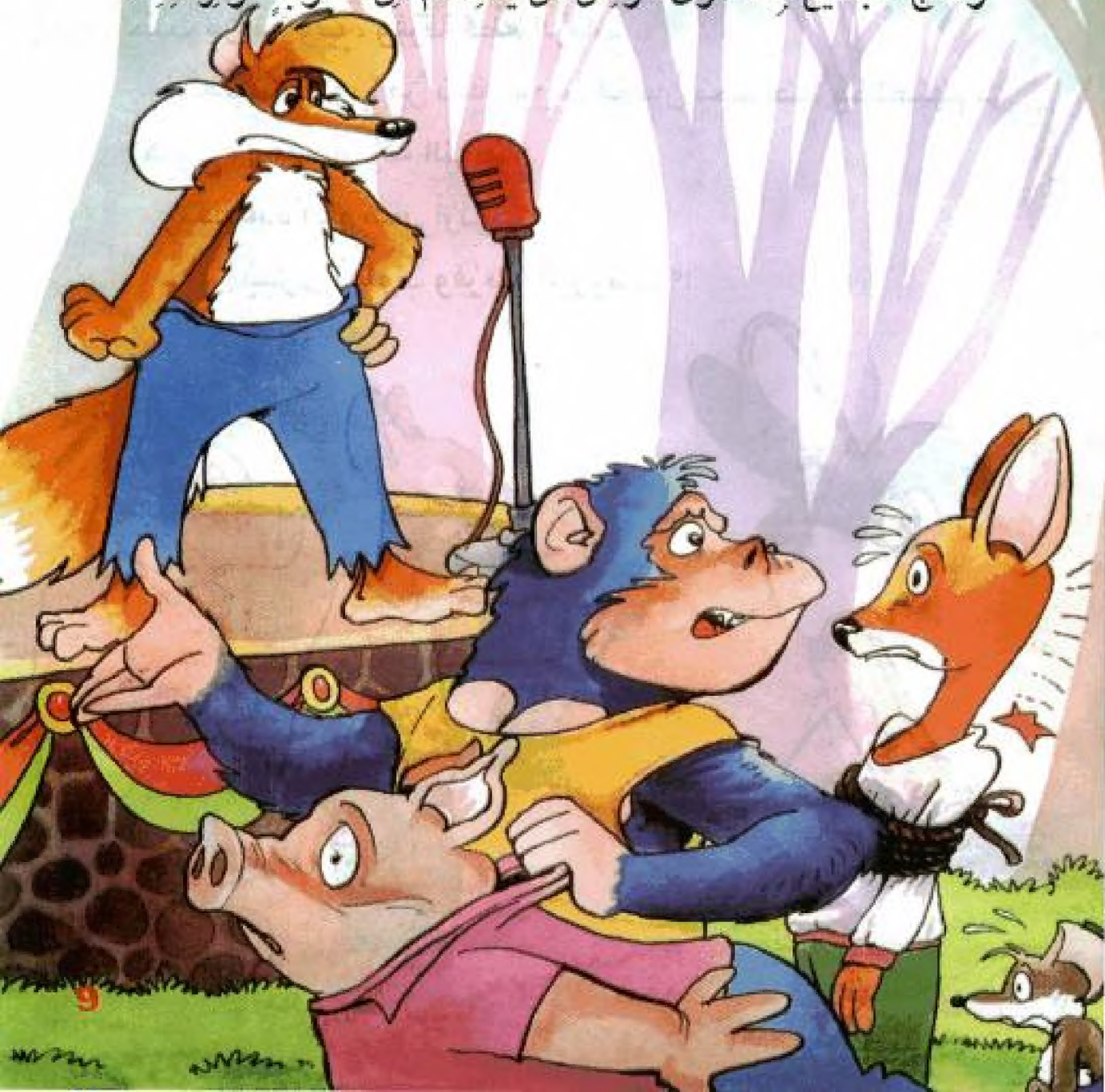
- فَتَخَلَّوْا عَنِ الْعَرْفِ ، وَأَخَذُوا يَتَصَدَّقُونَ لِكُلِّ مَنْ يُغَادِرُ السَّاحَةَ ،
وَيُعِيدُونَهُ إِلَى مَكَانِهِ بِالْقُوَّةِ ، حَتَّى يَجْلِسَ وَيُنْصِتَ إِلَى الْغَنَاءِ .
وَبِرَغْمِ فَسَلِ تَغْلُوبِ وَفِرْقَتِهِ فَسَلًا ذَرِيعًا ، مُنْذُ أَوَّلِ حَفْلٍ ، إِلَّا أَنَّهُ
اسْتَمَرَ فِي إِقَامَةِ الْحَفَلَاتِ ، وَأَخَذَ يَطْبَعُ التَّذَاكِيرَ ، وَيَأْمُرُ فِرْقَتَهُ
بِتَوْزِيعِهَا عَلَى أَهْلِ الْقَرْيَةِ بِالْقُوَّةِ وَتَحْصِيلِ ثَمَنِهَا بِالْإِكْرَامِ ،
وَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَنْ تُسَوَّلُ لَهُ نَفْسُهُ أَنْ يَرْفُضَ شِرَاءَ تَذْكِرَةٍ ، أَوْ
حُضُورَ حَفْلٍ ..



- وَتَمَادَى تَغْلُوبٌ فِي جَبْرُوتِهِ ، فَأَخَذَ يَعْزُضُ نَفْسَهُ وَفَرَّقَتْهُ عَلَى
الْأَفْرَاحِ وَالْإِحْتِفَالَاتِ الْخَاصَّةِ ، نَظِيرَ أَجْرٍ كَبِيرٍ يَفْرِضُهُ عَلَى
صَاحِبِ الْفَرْحِ ..

وَهَكَذَا حَتَّى كَفَّ النَّاسُ عَنْ إِقَامَةِ الْحَفَلَاتِ وَالْأَفْرَاحِ ، فَأَخَذَ
يَذْهَبُ مَعَ فَرَّقَتِهِ لِلْغِنَاءِ فِي الْمَآتِمِ وَالْأَحْزَانِ ، فَكَفَّ النَّاسُ عَنِ الْحُرْنِ
وَإِقَامَةِ الْمَآتِمِ أَيْضًا ..

وَضَجَّ الْجَمِيعُ بِالشُّكْوَى ، وَلَكِنْ مَنْ يَنْقِذُهُمْ مِنْ تَغْلُوبٍ وَفَرَّقَتِهِ !؟



- وفى ذلك الوقت كان أرنوب مُتغيِّبًا عن القرية فى إحدى
سُفرياتِه الطويلة ، فلَمَّا عادَ مِنْ سَفَرِه ، أَخْبَرَهُ أَهْلُ الْقَرْيَةِ بِمَا
حَدَّثَ مِنْ تَعْلُوبٍ ، وَفِرْقَةِ قَطْعِ الرِّقَابِ ..
فَتَعَجَّبَ أَرْنُوبُ مِنْ ذَلِكَ ، وَوَعَدَهُمْ بِأَنْ يَجِدَ حَلًّا يَخْلُصُهُمْ مِنْ
تَعْلُوبٍ ، وَهَذِهِ الْفِرْقَةُ اللَّعِينَةُ ..
وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ سَأَلَ أَرْنُوبُ :
- أَيْنَ يُجْرَى تَعْلُوبٌ وَفِرْقَتُهُ الْبُرُوقَاتِ ؟



- فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ يُقِيمُهَا فِي مَنْزِلِهِ ، وَإِنَّهُ يُغْلِقُ الْبَابَ ، وَلَا يَسْمَحُ
 بِدُخُولِ أَحَدٍ مِنْ خَارِجِ الْفِرْقَةِ فِي أَثْنَاءِ الْبُرُوفَاتِ ..
 فَتَوَجَّهَ أَرْنُوبٌ إِلَى هُنَاكَ رَاكِبًا حِصَانَهُ ، ثُمَّ طَرَقَ بَابَ الْمَنْزِلِ ، فَفَتَحَ لَهُ
 تَغْلُوبٌ بِنَفْسِهِ ، وَظَلَّ وَاقِفًا فِي فَتْحَةِ الْبَابِ ، فَحَيَّاهُ أَرْنُوبٌ .. ثُمَّ قَالَ
 بِصَوْتٍ مَرْتَفِعٍ لِيَسْمَعَ أَعْضَاءُ الْفِرْقَةِ :
 هَلْ يَشْتَرِكُ مَعَكُمْ فِي الْفِرْقَةِ كُلُّ مِنَ الدُّبِّ وَالْقَيْلِ ؟
 فَقَالَ تَغْلُوبٌ :
 نَعَمْ .. مَاذَا تَرِيدُ مِنْهُمَا ؟



.. فَقَالَ أَرْنُوبٌ بِصَوْتٍ أَكْثَرَ ارْتِفَاعًا :

أَنَا مِنَ الْمُعْجَبِينَ بِعَرَفِهِمَا ، وَلِهَذَا جِئْتُ لِكُلِّ مِنْهُمَا بِهَدِيَّةٍ ثَمِينَةٍ ..
أَرْجُوكَ أَنْ تُبَلِّغَهُمَا تَحِيَّاتِي ، وَتُوصِّلَ لِصَنَدِيقِي الدَّبَّ هَذِهِ الْهَدِيَّةَ ،
وَمَالَ عَلَى تَغْلُوبٍ وَصَفْعَةٍ صَفْعَةٍ قَوِيَّةٍ عَلَى خَدِّهِ الْأَيْمَنِ ، وَلِصَنَدِيقِي
الْفِيلِ هَذِهِ الْهَدِيَّةَ . وَمَالَ عَلَى تَغْلُوبٍ وَصَفْعَةٍ صَفْعَةٍ قَوِيَّةٍ عَلَى خَدِّهِ
الْأَيْسَرِ ..



وَقَبْلَ أَنْ يُفِيقَ تَغْلُوبٌ مِنَ الصَّدْمَةِ وَالْمُفَاجَأَةِ ، كَانَ أَرْنُوبُ قَدْ طَارَ
بِحِصَانِهِ ، وَاخْتَفَى عَنِ الْأَنْظَارِ .. وَأَخَذَ تَغْلُوبٌ يَتَوَعَّدُ أَرْنُوبًا ، بِأَنَّهُ
سَوْفَ يَنْتَقِمُ مِنْهُ شَرًّا اِنْتِقَامَ ..

ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الدَّاخلِ ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ خَلْفَهُ ، وَدَخَلَ الْحُجْرَةَ الَّتِي
كَانَ أَعْضَاءُ الْفِرْقَةِ يُجْرُونَ فِيهَا الْبَرْوَقَةَ ، فَلَمَّا رَأَى الدُّبَّ وَالْفِيلُ
يَدْخُلُ بِدُونِ الْهَدِيَّتَيْنِ ، وَقَدْ حَوَّلَ نَظْرَهُ عَنْهُمَا ، فَكَرَّ كُلُّ مِثْلِهِمَا
قَائِلًا :

يَبْدُو أَنَّ هَذَا الْوَعْدَ تَغْلُوبًا قَدْ غَافَلْنَا ، وَأَخْفَى الْهَدَايَا ..



- ثُمَّ سَأَلَ الدَّبُّ تَعْلُوبًا قَائِلًا :

مَنْ الَّذِي جَاءَ فِي الْخَارِجِ ١٩

فَقَالَ تَعْلُوبُ :

إِنَّهُ وَغَدُ سَافِلٍ ..

فَقَالَ الْفِيلُ :

الْأَوْغَادُ السَّافِلُونَ لَا يَحْمِلُونَ الْهَدَايَا إِلَى الْعَازِفِينَ الْمَهْرَةَ أَمْثَالِنَا ..

فَقَالَ تَعْلُوبُ :

لَا دَاعِيَ لَأَنْ أُعِيدَ عَلَيْكُمْ مَا حَدَّثَ .. سَيَكُونُ حِسَابِي

مَعَهُ عَسِيرًا ..



- فَقَالَ الدُّبُّ :

لَا دَاعِيَ لخداعنا يا تغلوب .. هَيَّا هَاتِ الْهَدِيَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ أُعْطَاكَ
إِيَّاهُمَا ، لِتَوْصِلَهُمَا إِلَيْنَا .. لَقَدْ سَمِعْنَا حَدِيثَكُمَا ..
فَقَالَ تَغْلُوبُ :

لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ مَا تَطْلُبَانِهِ مِنِّي .. نَحْنُ أَصْدِقَاءُ ، وَدَعُونَا
نُسْتَمِرُّ أَصْدِقَاءَ إِلَى الْأَبَدِ ..
فَقَالَ الْفِيلُ :

تُرِيدُ أَنْ تَسْتَوَلِيَ عَلَى هَدَايَا لِنَفْسِكَ ؟
هَذَا مُحَالٌ ..



- فَقَالَ تَعْلُوبُ :

إِذْنُ فَأَنْتُمَا مُصِرَّانِ عَلَى أَخْذِ مَا أُعْطَانِي إِيَّاهُ ذَلِكَ الْوَقْهُ ١٩

فَقَالَ الدُّبُّ وَالْقَيْلُ مَعًا : نَعَمْ ..

وَهُنَا رَفَعَ تَعْلُوبُ يَدَهُ عَالِيًا ، وَصَنَعَ كَلَامًا مِنْهُمَا صَفْعَةً قَوِيَّةً عَلَى خَدِّهِ ، وَهُوَ يَصِيحُ :

هَذِهِ هَدِيَّتُكَ ، وَهَذِهِ هَدِيَّتُكَ ..

وَلَكُمُ أَنْ تَتَخَيَّلُوا مَا حَدَثَ لِتَعْلُوبٍ مِنَ الْقَيْلِ وَالِدُّبِّ ، فَقَدْ انْهَالَ عَلَيْهِ ضَرْبًا ..

وَمُنْذُ هَذِهِ اللَّحْظَةِ لَمْ تَقُمْ لِلْفِرْقَةِ قَائِمَةٌ ،

وَاسْتَرَاحَ النَّاسُ إِلَى الْأَبَدِ مِنْ

الْمُطْرِبِ الْمَوْهُوبِ تَعْلُوبِ ..

(تَمَّتْ)

رقم الإبداع : ١٠٦٢٣

